المحاضرة الأولى: علم الاجتماع الحضري: مدخل مفاهيمي

تمهيد: يعد علم الاجتماع الحضري أحد الفروع المعرفية المتفرعة عن حقل علم الاجتماع العام، والذي أبدى اهتماما خاص بدراسة الظاهرة الحضرية في تجلياتها الزمكانية المختلفة، ورغم البداية المتعثرة التي صاحبت مسار نشأته وتطوره بفعل عوامل ظرفية متعلقة بنشأته المتأخرة، وكذا تعذر ضبط تصور محدد له إلى جانب تغليب جوانب كانت ذات أولوية في حينها... إلخ، إلا أنه أستطاع تدريجيا أن يشق طريقه وسط العديد من التخصصات والمعارف الأخرى، والتي تتقاطع معه وتشاركه موضوع الاهتمام والبحث على تباين مسمياتها كالاقتصاد الحضري، التشريع الحضري... إلخ، الأمر الذي أهله لتبوأ مكانة علمية مرموقة بينها وذلك على المستويين الأكاديمي والمهني. وهو الأمر الذي يدفعنا إلى محاولة مقاربته والتعرف عليه أكثر، وذلك من خلال استهداف الإجابة على عدد من التساؤلات، لعل أبرزها: ما معنى علم الاجتماع الحضري؟ وفيما تتجلى أهميته؟ وما هي المجالات التي يستهدفها بالبحث والدراسة؟، وما العوامل التي دعت إلى قيامه.

أولا. تعريف علم الاجتماع الحضري: اشتقت لفظة حضري من الكلمة اللاتينية **urbs**، وهو اصطلاح كان الرومانيون يستخدمونه للدلالة على كل ما يتصل بحياة المدن. **أما في اللغة العربية** فقد ورد في "**لسان العرب المحيط**" أن لفظ الحضر من الحضور، والذي هو نقيض المغيب، والحضر خلاف البدو. ويشتق من الحضر "الحاضر" أي المقيم سواء في المدن أو القرى، في مقابل البادي أي المقيم في البادية، والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البادية. كما يشير إليه أيضا "**المعجم الوسيط**"، والذي يرى أن الحضر من الناس بساكن الحضر والحضارة (بكسر الحاء) هي الإقامة في الحضر، والتي هي من مظاهر الرقي العلمي والأدبي والاجتماعي.

أما اصطلاحا، فتعددت الاجتهادات البحثية التي استهدفت مقاربة هذا الحقل المعرفي، محاولة بلورة تصور واضح لإشكالاته البحثية ومفاهيمه الأساسية، والتي من جملتها نذكر الأتي:

- يعرفه **بلامنتاتز**، بوصفه الدراسة السوسيولوجية للمدن وحياة المدينة أو الحضرية أو موضوعات مختارة في هذا الحقل.
- أما **جوزيف رويسك** وزميله **رولاند وران** فينظران إليه بأنه: الفرع الذي يهتم بالدراسة الحضرية، وسمات سكان المدينة وتنظيماتهم وأنشطتهم المؤسساتية وعمليات التفاعل الأساسية. كما تحدث عن الحياة الحضرية وتأثير التغير الاجتماعي على المدينة والمشكلات المختلفة التي تواجه المجتمع الحضري.

في حين يقدمه الدكتور **مصطفى الخشاب** العلم الذي يهتم بدراسة المدينة باعتبارها مركز الحضر، وهو في ذلك يدرسها في نشأتها وتطورها، ووظائفها، والأبنية الإدارية والفنية القائمة في تلك المدن. كما أنه يتناول التقسيمات الطبقية والمهنية ومستوياتها التكنولوجية والمشكلات التي تعاني منها، حيث تنكشف في ضوء هذه المشكلات أهمية تخطيط المدن وتنسيقها وإعادة تنظيمها عمرانيا.

ويرى فيه **سامي ذبيان** "العلم الذي يدرس مجتمع المدينة، نموه ومؤسساته ومشكلات الاستقرار في المدن والعلاقات الاجتماعية السائدة في هذا المجتمع، وتغير مستويات المعيشة وصلتها بالظروف الاقتصادية، والزيادة في عدد السكان من حيث نسبتها وحجمها وكثافتها، وكذا أثر التصنيع في الهجرة من الريف إلى المدن. هذا بالإضافة إلى دراسة الصفات المرتبطة بالمجتمع الحضري، والذي تميزه عن غيره والمتغيرات التي يتسم بها كالقيم الثقافية والنواحي السكانية والتصنيع".

ويقدمه **هنري لوفيفر** أحد أبرز أعلام السوسيولوجيا الحضرية في فرنسا على أنه: "دراسة العلاقة المعقدة والمتصارعة بين الجماعة الإنسانية وإطارها" أي أن كل ما يحيط بالمدينة ويتعلق بحياة سكانها الاجتماعي فهو يعود لعلماء الاجتماع الحضريين".

في الوقت الذي يعتبر زميله من نفس المدرسة **ريمون لودري**، أن الموضوع الأساسي للدراسات الاجتماعية في المدن يقام من خلال الوجود الاجتماعي نفسه، حيث أن الظواهر التي لديها دخل في التوزيع السكاني وتحركه في المجال. ويخص بذلك الدراسات المهتمة بتصرفات وممارسات الأفراد الذين يعيشون في الوسط الحضري وبتالي كل أشكال حياته وتنظيمها.

أما **رالف تومالينستون** فيرى أنه: العلم الذي أصبح مرادفا تقريبا لعلم الاجتماع العام، وذلك لأنه يختص بموضوع خاص في إطار علم الاجتماع العام وهو عنده علم البيئة الحضرية. وذلك لأن التوزيع المكاني في المدن وحولها وما يدب فيها من علاقات اجتماعية يعد الظاهرة الحضرية الأساسية، التي نستند عليها في تأكيد مشروعية قيام واستمرارية علم الاجتماع الحضري كمجال مميز.

وعند فصيل أخر من الباحثين هو: فرع من فروع علم الاجتماع الحضري، وأنه رغم تمايز موضوعه عن موضوعات علم الاجتماع الأخرى، إلا أنه وثيق الصلة بنظريات علم الاجتماع ومناهجه في دراسة ظاهرة التحضر، وما يرتبط بها من مشاكل وظواهر اجتماعية متعددة في إطار المدن التي تعتبر مجالا أساسيا لعمل علم الاجتماع الحضري ومحور اهتمامه بما فيها من تنظيمات وأبنية وعلاقات وأنشطة، فضلا عن ظواهر نموها وما يرتبط بها من مشكلات اجتماعية متعددة.

ومهم يكن من أمر هذه التعريفات، وأخرى كثيرة غيرها لم يتسنى ذكرها في هذا المقام، فإنها ترجع الى طبيعة البيئة المحلية التي نشأ فيها كل تعريف من التعريفات السابقة، والتي تعكس في جوهرها طبيعة الظاهرة الحضرية، ومرجعيتها المتباينة من مجتمع لأخر ومن مجال لأخر من جهة. ومن جهة أخرى في كون علم الاجتماع

الحضري لم يتوفر له الاتفاق العام حول مادته والطابع النظري له. فهو يعتبر من أكثر الفروع اتساما بعدم الوضوح والتحديد كما يذهب الى ذلك الباحث **نول جست**، وذلك بفعل عدم وجود اتفاق عام على استقلاليته أو طابعه النظري، بشكل ينعكس على مجال البحث فيه الذي يمتاز بالاتساع والشمولية للعديد من النظم الأخرى مثل: الجغرافيا، الاقتصاد، علم السياسة،... والتي نجد لكل منها جوانب اهتمام بالحياة الحضرية في المدينة. لكن مهم يكن من أمر هذه التعاريف، وأخرى كثيرة غيرها لم يتسنى لنا ذكرها في هذا المقام، فإنها تبقى ذات أهمية، طالما مكنتنا من إلقاء الضوء على علم الاجتماع الحضري، بما يساعد على تفهم هذا التخصص وإدراك بعض معانيه المترامية والتي جنحت في مجملها الى اتخاذ إحدى المسلكين التاليين:

- **المسلك الأول**: ويتم فيه تعريفه بالاستناد الى طبيعة الموضوع الذي يتناوله هذا العلم، كما هو الحال في التعريفات الستة الأولى.
- **المسلك الثاني**: ينحو منحى متميز نسبيا عن سابقه وان كان يتقاطع معه في نهاية المطاف، حيث يعرف باعتباره تطبيقات بسيطة لنظريات علم الاجتماع العام في المجال الحضري، ويمكن ملاحظة ذلك في التعريفات التي تلت ذلك.

ثانيا. بيان أهمية علم الاجتماع الحضري: تشكل المدينة بوصفها بيئة فيزيقية– عمرانية، فضاء حاوي للكثير من الجماعات الإنسانية المختلفة التي تتفاعل معه وتتفاعل فيما بينها، مما يترتب عنه بروز الكثير من الظواهر المختلفة والعمليات الاجتماعية المتنوعة (تعاون، صراع، تنافس...) مع ما يصاحب ذلك من انعكاسات وتداعيات مختلفة.

هذه المعطيات، جعلت المدينة محور اهتمام للبحث الاجتماعي، والذي يعد أداة علمية لدراسة المدينة والتمدن والمحيط الإيكولوجي، وكذا طبيعة العلاقات الثقافية والاجتماعية السائدة ضمن هذا النسيج المترابط. كما يسعى أيضا، لفهم وإدراك ميكانيزمات التنظيم والترابط المؤدية إلى تحليل الكيان الحضري، وبتالي فهم عمليات التغير الاجتماعي والثقافي وما يترتب عن ذلك من نتائج.

كما يتمتع علم الاجتماع الحضري أيضا بحسب ما يذهب إليه **رايسمان**، بأهمية أساسية لعلم الاجتماع نفسه. ذلك أن دراسة عملية التحضر يمكن أن تخدم دراسة التغير في أي مجتمع من المجتمعات. هذا إلى جانب أن اكتشاف طبيعة البناء والتنظيم الاجتماعي الذي تقوم عليه أساسا الحياة الحضرية، يمكن أن يفيدنا في فهم البناء وطبيعة التنظيم الاجتماعي القائم في أي مجتمع، حتى ولو لم يكن مجتمعا حضريا.

ثالثا. عوامل نشأة علم الاجتماع الحضري: الحاجة لنشأة تخصص علم الاجتماع الحضري مسألة لم تكن من قبيل الترف الفكري، بقدر ما أملتها مجموعة متنوعة من الاعتبارات والظروف التي عرفتها العديد من المجتمعات الغربية آنذاك. إلا أن مسار التطور هذا، لم يتم بطريقة متساوية في كل الدول الغربية على الأقل، نظرا لتفاوت الاعتبارات التي أملت حضوره في المشهد الحضري، وهي الاعتبارات التي سنقف عليها في التفصيل الأتي.

1) **الانقلاب الجذري في أبعاد الظاهرة الحضرية**: ظلت المجتمعات الإنسانية لآلاف السنين تعيش وتعمل أساسا في المناطق الريفية، باعتبار أن النشاط الاقتصادي الأساسي الذي كانت تقوم عليه الحياة الإنسانية حينها، كان يتمثل في النشاطين الزراعي والرعوي على وجه التحديد، في حين مثلت المدن مواطن عيش للنخب السياسية والعسكرية والتجارية، لكن تدريجيا أخذ العالم يترك وراءه ماضيه الريفي، حيث حدثت موجة التحضر الأولى* في أمريكا الشمالية وأوربا على مدى الفترة الممتدة ما بين عامي: 1750- 1950، والتي أدت إلى زيادة تراوحت ما بين 10-52% في عدد سكان الحضر، ومن 15 إلى 423 مليونا في عدد المتحضرين. حيث أدى التقدم الحاصل في المجال التكنولوجي، والتزايد المسجل في استخدام الآلية إلى زيادة الفائض الزراعي إلى الحد الذي يكفي لأن يوفر من 20-30% من السكان بالاشتغال بالعمل الزراعي. وذلك بعدما ظلت كفاية الإنتاج الزراعي تفرض حدودا على نسبة التحضر في الكثير من البلاد الغربية آنذاك.

وبهذا دخل العالم مرحلة حضرية دعت البعض أن يطلق عليها الثورة الحضرية، فقبل عام 1850 لم يعرف العالم دولة حضرية بالمفهوم الحديث. ومع بداية القرن 20 أصبحت **بريطانيا** الدولة الحضرية الوحيدة في العالم، وبعد مرور ثمانين عاما من 1850، تحولت معظم الدول الأوربية إلى دول صناعية حضرية، حيث ارتفعت نسبة السكان الحضريين حتى تجاوزت نسبة السكان الريفيين. ومن شواهد ذلك **فرنسا**، فبعدما لم يكن سكان الحضر بها يمثلون سوى ما نسبته 15% سنة 1815، قفزت هذه النسبة إلى حدود 66.2% سنة 1968.

النمو الحضري المسجل، لم يكن فقط على صعيد عدد السكان، وإنما شمل أيضا ازدياد في عدد المدن المليونية حول العالم، والتي ارتفع عددها إلى 105 مدينة في سنة 1964، وذلك بعدما لم تكن توجد مدينة مليونية واحدة إلى غاية القرن التاسع عشر (19) ميلادي، من بينها 30 مدينة في أوربا وحدها.

2) **تحول نمط الحياة الحضرية**: هذا التوسع الحضري الهائل الذي شهدته الكثير من المجتمعات الأوربية على وجه التحديد، جعل المدن محور جميع التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، بشكل عجل بتغير تفاصيل المشهد اليومي للكثير من المجتمعات الإنسانية، التي وجدت نفسها تواجه أوضاعا ومستجدات طارئة لا عهد لها بها، حيث طغت عليها النزعة الفردية، ضعف الروابط والتماسك الأخلاقي داخلها، عدم الإحساس بالأمن الشخصي، وضوح الاستقلال النسبي بين الجماعات الإنسانية المختلفة، تعاظم معدلات اللاتجانس الاجتماعي والثقافي، تصاعد مفاهيم تقسيم العمل.. إلخ.

حجم وطبيعة التعقد المصاحب لعملية فهم واستيعاب مكونات وأبعاد الظواهر الاجتماعية، بحكم التغير السريع في مجريات الواقع الاجتماعي المعاش، وظهور أوضاع اجتماعية مغايرة في الحياة الإنسانية تتطلب الدراسة النظرية والعملية، غذى الحاجة أكثر للعلوم الاجتماعية من جهة، وإلى ضرورة استحداث نوع من

* موجة التحضر الثانية، حدثت في المناطق الأقل تقدما، حيث ارتفع بموجبها عدد المتحضرين من 3.9 مليون نسمة سنة 1950 إلى حوالي 3.9 بليون نسمة بحلو سنة 2030.

التخصيص داخل هذه الحقول، وذلك بغية إدراك مضامين ومتطلبات الحياة الجديدة والقوانين التي تتحكم فيها، وهو ما أدى تدريجيا إلى بروز عدة تخصصات فرعية تعني بجوانب محددة من الإشكاليات الإنسانية المدروسة، وعلى رأسها علم الاجتماع الحضري.

3) **المشكلات المصاحبة لنمو المدن**: النمو الحضري الهائل الذي عرفته المدينة الغربية بعد قيام الثورة الصناعية، نجم عنه سلسلة طويلة ومعقدة من المشكلات الحضرية التي باتت تعرفه المدينة الغربية عموما، على غرار: الفقر الحضري، مشكلة السكن، انحطاط البيئة الحضرية، انتشار أحزمة الأحياء والمستوطنات العشوائية بجوار المدن، أزمة النقل، الخدمات الصحية.. إلخ. وذلك بفعل عدم أهلية المدينة الغربية حينها لاستقبال هذا العدد الهائل من السكان، الأمر الذي جعلها تأن تحت وطأة قسوة الظروف المعيشية التي باتت تطبع يومياتها.

هذا الوضع، لم يمر مرور الكرام على الكثير من المهتمين بالشأن الاجتماعي من إصلاحيين وسياسيين..، والذي أخذوا يطلبوا بضرورة القيام بتشخيص دقيق لتفاصيله، بما يمكن من التعاطي معه بشكل مناسب.

4) **الحركات الاجتماعية الناشئة في المجال الحضري**: شكلت المدن تاريخيا التربة الخصبة لنمو بذور التغير بكافة أشكاله العنيفة منه والهادئة على حد السواء. حيث لعبت النقابات والاتحادات العمالية، دورا لا يمكن نكرانه في إذكاء الحركات الاحتجاجية وتنشيطها ضد الأوضاع والاقتصادية المتعثرة، التي كانت تتكبد ويلاتها الطبقة العاملة في الكثير من المدن الصناعية في العالم الغربي، وكذا التفاوتات الشاسعة بين الطبقات الشغيلة وأرباب العمل. كما كشفت عنه العديد من الدراسات آنذاك، وفي مقدمتها دراسة **تشارلس بوث** عن "حياة العمال في لندن"، والتي بين فيها مقدار ما تعانيه الطبقة العاملة من بؤس وفقر حقيقيين، كاشفا أن 40% من طبقة العمال تتوزع على ثلاث (03) كبقات منبوذة، وهي: طبقة الفقراء، والفقراء جدا، والأفقر.

هذا المعطى، جعل هذه الحركات تتحول إلى أحد المعالم المميزة لنمط الحياة الحضرية ومشكلاتها، لا سيما أنها أسهمت بدور كبير في التصدي للمشكلات القائمة بالمجتمعات الأوربية، والتي تعاني منها النظم الحضرية على وجه التحديد، محدثة بذلك تغييرا في التركيب الطبقي القائم، وذلك بإعادة تشكيل عناصره، إلى جانب العمل على التقليل من حدة التفاوتات بين الأشكال الطبقية السائدة بالمجتمع، والسعي بكافة الوسائل إلى الحصول على الحقوق الأساسية لبناء المجتمع.

5) **تعزز مكانة العلوم الاجتماعية في العام الغربي**: النهضة الصناعية والاقتصادية الكبرى التي شهدتها الكثير من المجتمعات الغربية، قابلها تطور هائل في مكانة العلوم والمعارف داخلها، والتي أخذ قطاع عريض منها يبدي اهتمام كبير بالتطور المتسارع في نمو المدن، وتعاظم مكانتها في حياة المجتمعات الإنسانية المعاصرة، وكذا بطبيعة المشكلة الحضرية التي اكتسبت معالم جديدة، نتيجة للمد التطوري الشامل والسريع الذي شهده القرن العشرين (21)، وذلك على غرار الجغرافيا، الديموغرافيا، التهيئة العمرانية والتي سبقت علم الاجتماع في الالتفات إلى هذا النوع من الإشكالات، وهي التي انطبعت مقاربتها إزائها بواقعية اجتماعية، ساعد عليها

ارتقاء البحث في هذه التخصصات ونضوجه، إلى جانب قيام الجامعات والمعاهد بدورها الحضاري في رصد ظواهر ومشكلات التحول المجتمعي امبريقيا وكميا.

رابعا. السياق التاريخي لنشأة وتطور علم الاجتماع الحضري: وحتى يتسنى لنا بلورة فكرة حقيقية عنه، لا بد من التطرق إلى مسار نشأته وما تضمنه من مراحل متباينة، ساهمت في تحقيق التراكم المعرفي الذي أدى إلى نشأته، وهي المراحل التي نوجزها في:

1) **الفكر الحضري في التراث الفلسفي القديم:** بالرغم من حداثة علم الاجتماع الحضري إلا أن الظواهر الحضرية قديمة جدا، وقد أدركها الفلاسفة ونظروا إليها من زوايا مختلفة. فنجد بعضهم اعتبرها ظواهر خارجة عن نطاق المألوف حينها، تكرسها هيمنة القرية وتبعية المدينة لها، والتي لم يكن يتعدى دورها حدود مقر إقامة للطبقة الحاكمة ونخبة المجتمع...، وهناك من نظر إليها نظرة قيمية أخلاقية على نحو ما ذهب إليه **أفلاطون**، الذي ساءه ما ساد في المدن من ظواهر لا تتفق مع المنطق والمثل، لذا يدعو في كتابه "الجمهورية" الى أقامة مدن مثالية تتحقق فيها العدالة والخير وتتفق في رأيه مع العقل والأخلاق... ويرى في مقام أخر القديس "**أوغستين**" في كتابه "مدينة الله" ومن قبله القديس "**سانت توماس الاكويني**" أن المدينة الأرضية قد خرجت عن السلوك المثالي، وهي لن تقوم لها قائمة ألا إذا رجعت إلى تعاليم الدين وتشبهت بمدينة السماء التي يسودها خلق الملائكة... وعلى ذات المنوال نجد المفكر الإسلامي **الفارابي** يفزعه حال المدن الإسلامية وما يستشري فيها من فساد وبعد عن الدين، فيرسم صورة لمدينة فاضلة حدد صفات حاكمها، لاعتقاده بدور الحاكم في تغيير المجتمع. أما "**جون جاك روسو**" فقد اعتبر مساوئ المجتمع الحضري نابعة من طبيعة الحياة في هذا المجتمع الذي يقوم على الأنانية والمادية والمنافسة والعدوان على الطبيعة.

وهناك من نظر إلى الظواهر الحضرية نظرة موضوعية تقترب من المنهج العلمي، كما فعل الفيلسوف اليوناني "**أرسطو**"، والذي يتعرض في كتابه "السياسة" لموضوعات تتعلق بعلم الاجتماع الحضري، فيفرق بين أهل الأرياف والمدن، ويرى أن المجتمع الزراعي أكثر قبولا للديمقراطية ثم يأتي بعده المجتمع الرعوي الذي يعيش من قطعانه. كما تطرق للشروط الجغرافية للمدينة والبعد الصحي فيها والموقع الحربي ونمط التخطيط الذي يتم اعتماده فيها وتوزيع المساكن.... ما يعني أن البدايات الأولى للفكر الحضري تمت في رحم الفلسفة، وغلب عليها الطابع الطوباوي والذي كان ميزة تلك المرحلة من التاريخ الإنساني.

2) **المرحلة الفكرية:** وتتمثل في مجموع الاجتهادات التي استهدفت المدينة وقضاياها المختلفة: الاجتماعية والاقتصادية والثقافية... وفقا لرؤى خاصة قائمة على التأمل والاجتهادات الفكرية والعقلية للمفكر في ميادين معرفية متعددة. كما تطرق إلى ذلك المفكر العربي **بن خلدون** (الذي أرسى موضوعات علم الاجتماع أو العمران البشري كما سماه وحدد أسسه).

أما في الضفة الأخرى، فان أبرز أعمال هذه الحقبة تعود حسب ما ذهب إليه "**جدون سجو برج**" في دراسته المعنونة "بعلم الاجتماع الحضري المقارن" إلى القرن 16 والذي يعتبر البداية الفعلية نحو صياغة نظرية للدراسات الحضرية، وذلك حينما نشر "**جيوفاني بوترو**" لأول مرة دراسته الشهيرة حول "عظمة المدن" في سنة 1598. إلى جانب جهود "**توماس كامبينلا**" في كتابه "مدينة الشمس" و"**جهان فالنتين**" في كتابه المدينة المسيحية عام 1619، ومن بعده "**فرنسيس بيكون**" في كتابه "أطلنطا الجديدة" عام 1623 و"**جيمس هارنجتون**" عام 1656 في منشوره "أوكايا"، "**فوستيل دو كولانج**" في كتابه "المدينة التاريخية" عام 1864، ومحاولة "**شارلز كولي**" عام 1894 حول "نشأة وتطور المدن" وكذا محاولة **أدنا فيبر** عام 1899 حول نفس الموضوع وبعنوان "نمو المدن في القرن 19".

هذه الاجتهادات وأخرى كثيرة غيرها لم يتسنى لنا ذكرها، كان تناولها لظواهر علم الاجتماع الحضري في سياق دراسة موضوعات أخرى، ولم تقصد الموضوع لذاته أو تنتبه لما له من أهمية خاصة، كما أنها عكست ببساطة شديدة روح تلك العصر والتي امتازت ب:

- الانفتاح السياسي وقيام الدولة المدنية عقب انهيار سلطة الكنيسة.
- قيام الثورة الصناعية وما أعقبها من انقلاب جذري في أبعاد المشكلة الحضرية، وهو ما سمح تلقائيا للأعمال السابق ذكرها، من أن تلعب دور ممهد لنمو وتطور علم الاجتماع الحضري المعاصر، من خلال توجيه التفكير الحديث في المدينة وفي النظرية الحضرية ذاتها.

3) **المرحلة الكلاسيكية**: ويتعلق الأمر هنا بنظريات علماء الاجتماع الكلاسيكيين وكتاباتهم حول المدينة وظواهرها الاجتماعية، رغم أن المدينة لم تكن هي مركز اهتمامهم الخاص. وهي الجهود التي جاءت متمثلة في نظريات كل من **إميل دوركايم** حول التضامن الآلي والتضامن العضوي، و**ماكس فيبر** في كتابه الشهير "**المدينة**" حيث أعتبر العقلانية التي تظهر في المدينة المجال المناسب لظهور الفعل الاجتماعي العقلاني الذي يساعد النشاط الاقتصادي على التهيكل والتميز عن غيره من الأنشطة الأخرى، و**كارل ماركس** في تشبيهه، للتمييز القائم بين المدينة والريف بالتمييز القائم بين العمل اليدوي والعمل الذهني، والذي يعد حسبه شكلا من أشكال الاستغلال الاجتماعي.

4) **المرحلة العلمية المتخصصة**: ونقصد بها نشؤ علم الاجتماع الحضري كعلم فرعي مستقل – فروع علم من اجتماع العام– ذو موضوع محدد وهو المدينة وما يسود فيها من ظواهر اجتماعية خاصة بها، والذي تم بفضل الرعيل الأول من علماء مدرسة شيكاغو وعلى رأسهم: **روبرت أزار بارك** الذي بادر ابتداء من سنة 1916 الى نشر مقاله الشهير بعنوان "**المدينة: بعض المقترحات حول دراسات السلوك الإنساني في البيئة الحضرية**" إلى جانب جهود كل من "**أرنست برجس**"، "**لويس ورث**"، "**رودريك ماكينزي**"... والتي عكست في الجانب الأعظم منها سرعة نمو المدن الأمريكية، وما أعقبها من ظهور المشاكل الخاصة بهذا النوع

من الناحية الاجتماعية الذي يغاير تماما الحياة الريفية التي عاش فيها الأمريكيون منذ اكتشاف أمريكا وقيام مدنها ونموها.

خامسا. مجالات اهتمام علم الاجتماع الحضري: اتسم حقل علم الاجتماع الحضري منذ نشؤه بإشكاليتين أساسيتين ميزات نشاط المشتغلين فيه، واللتان سوف نقف عندهما في التفصيل الأتي:

1) **الإشكالية الكلاسيكية**: تحدد المجال العام لعلم الاجتماع الحضري بصورة أساسية، بإعلان المؤسسين الأوائل بأن الظواهر الحضرية وظواهر نشأة المدن ونموها، وأنماط هذه المدن ووظائفها يمكن أن تكون مجالا لنظام علمي خاص. ومن ثمة بدأ العلماء يتحدثون عن علم الاجتماع الحضري باعتباره العلم الذي يتخذ من كل هذه الجوانب مجالا لدراساته النظرية والتطبيقية.

ويعد تأكيد بعض الباحثين على أن الدراسة السوسيولوجية للمدن وحياة المدينة أو الحضرية هي السياق العام لعلم الاجتماع الحضري، نوع من الربط أو المحاولة على الأقل بين دراسات لعلم الاجتماع الحضري وعلم الاجتماع العام، وذلك من خلال إبراز الاشتراك القائم بين علم الاجتماع الحضري وفروع علم الاجتماع الأخرى من حيث الظواهر المتعلقة بنشأة المدن ووظائفها وتطورها ونظمها وأبنيتها الإدارية والفنية، هذا بالإضافة إلى ظواهرها الاجتماعية المختلفة كالانحراف، الجريمة، الكثافة السكانية، الهجرة، وغيرها من الظواهر... أما "**فيرث**"، فقد حدد مجال علم الاجتماع الحضري بدراسة خصائص المجتمع الحضري، والذي يتسم بروابطه الثانوية، وتنوع أدواره، وارتفاع معدلات حراكه، وكبر حجمه وكثافة سكانه، وعدم تجانسه. **ففيرت** بذلك يتخذ من المدينة بظواهرها الوحدة الأساسية التي يتحدد بها مجال لعلم الاجتماع الحضري. في حين أن "**فيري**" يتخذ من القيم الثقافية الموضوع الأساسي الذي يستند إليه علم الاجتماع الحضري في تفسير جميع مظاهر الحياة في المدينة بما تشتمل عليه من تنظيمات وأبنية اجتماعية وايكولوجية، في مقابل اتخاذ **جلاس ولويس ممفورد** من نشأة المدن ونموها وتحليلاتها التاريخية ركيزة أساسية لعلم الاجتماع الحضري الجديد. فهو بهذا المعنى، يبدي اهتماما خاصا بدراسة المدن و مظاهرها وخصائصها وظواهر نشأتها ونموها، وما تتضمنه من ظواهر وقيم وأبنية وتنظيمات اجتماعية وايكولوجية تمثل جانبا أساسيا من الجوانب المكونة لمجال الدراسة النظرية والتطبيقية لعلم الاجتماع الحضري.

فهو بذلك إذن، يشتمل على التحليل الوصفي لهذه الجوانب والظواهر التي ترتبط بالمدن والمجتمع الحضري، ولا ينحصر مجاله عند هذا المستوى وفي إطار تلك الدائرة بل يتخطاها الى مستوى البحث حول العوامل والظروف التي أدت إلى نشأة المدن، والتي تعمل على نموها والمصادر المباشرة والغير مباشرة الكامنة خلف الظواهر المدن والمجتمع الحضري، والتي أدت إلى تمايز خصائصه عن خصائص المجتمع الريفي وطبعته بطابع خاص ومميز عن المجتمعات المحلية الأخرى. ومما يساعد على تحقيق تلك الدراسة التحليلية التفسيرية أن المدينة تشكل الوحدة الاجتماعية الأساسية لدراسة لعلم الاجتماع الحضري ويساعده على تحقيق ذلك أيضا التحليل

التاريخي بهدف تقديم التفسيرات العلمية للظواهر الحضرية مثل الهجرة، التنظيمات الاجتماعية، الروابط ومظاهر التنوع في الأدوار والحراك الاجتماعي وغياب مظاهر التجانس وشيوع مظاهر الاجتماع الحضري. ولا ينتهي الحال بمجال علم الاجتماع الحضري عند مستوى وصف الظواهر الحضرية وتفسير عواملها ومصادرها بل يتخطى ذلك ليشمل محاولة الوصول إلى مقاييس تحدد درجات التحضر وتختبر قضاياه وتساعد على التنبؤ بمستقبل المجتمع الحضري وظواهره في ضوء تحليل عوامله ومصادره واتجاهات تغيره، وبذلك يسهم علم الاجتماع الحضري في دراسة شؤون الحضر ومشكلاته وكيفية إعادة تخطيط المدن وتحديد احتياجاتها وكيفية ترشيد ظواهرها.

2) **إشكالية ما بعد الحرب العالمية الثانية**: شهد مسار هذا العلم بعد **الحرب العالمية الثانية** قفزة جد نوعية، كرسها تدخل مخططي التهيئة العمرانية في كل من أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، ووصايتهم المطلقة على المشاريع والمخططات الحضرية، وما أعقبها من تدني العائد النهائي الناجم عن ذلك سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي، مما فتح لعلم الاجتماع الحضري أفاقا جديدة هادفة الى الإسهام في عمليات التوجيه العمراني، التي شهدت تطورا كبيرا في الفترة الممتدة ما بين 1960 و1975، عقب الشروع في إعادة اعمار أوربا بعد الحرب العالمية II وفقا لمبادئ العمران الحديث التي كرسها ميثاق أثينا واقعا. دون أن يعني ذلك تخلي أو تراجع من أي نوع عن الإشكالية السابقة، بقدر ما يعني توسيع نطاق اهتمامات هذا الحقل المعرفي نحو جوانب جديدة لم تكن مثار نقاش قبل هذا الوقت.

سادسا. المراجع المستخدمة في المحاضرة:

1) عبد الرؤوف عبد العزيز الجرداوي، **الإسكان في الكويت: دراسة في علم الاجتماع الحضري**، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط 1، 1978.

2) هالة منصور، **محاضرات في علم الاجتماع الحضري**، المكتب الجامعي الحديث، 2001.

3) محمود الكردي، **التحضر: الكتاب الأول**، دار المعارف، القاهرة، 1986.

4) فادية عمر الجولاني، **علم الاجتماع الحضري**، المكتبة المصرية، الإسكندرية.

5) عبد الرءوف الضبع، **علم الاجتماع الحضري**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2003.

6) أحمد النكلاوي: النظرية في تخطيط المدن، في: **دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا**، دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، تحرير: أحمد الخشاب، دار المعرفة، مصر، 1975.

7) محمد بومخلوف: **التحضر: التوطين الصناعي وقضاياه المعاصرة**، دار الأمة، الجزائر، 2001.

8) عبد المجيد عبد الرحيم، **علم الاجتماع الحضري**، المكتبة الانجلو مصرية، 1976.

9) هناء محمد الجوهري: **علم الاجتماع الحضري**، دار المسيرة للتوزيع والطباعة، عمان، 2008.